ومضـــات فكر

للاســـتاذ أنور المعداوى

أفٍ ... وأفٍ !

مسيو أندريه جيد — كما لا يخفى على القراء — عميد من عمداء الأدب الفرنسى المعاصر ، وكاتب لم يشأ أن يحتل مكانه فى الأكاديمى فرانسيز ، وهو بعد ذلك قد ظفر بجائزة نوبل للأدب عن عام ١٩٤٧ ، ولكن منزلته الأدبية ظلت فترة طويلة وهى مترجحة بين آراء النقاد من خصومه وأنصاره ؛ أما خصومه فينظرون إليه نظرة قوامها أن شهرته أكثر من علمه . وما زلت أذكر رأى الناقد الفرنسى هنرى بيرو فى أندريه جيد حين وصفه بأن عقليته منظمة ولكنها قليلا ما تبدع ، وأنه كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة ! وكنت أقول لنفسى إن بيرو ينفس على الرجل شهرته ، وإن رأيه فيه رأى أملاه الهوى ولعل ما بينهما من خصومة قد دفعه إلى أن يهاجم فنه بهذا النقد الذى يفيض قسوة ومرارة .

كنت أقول لنفسى هذا قبل أن أقرأ « الباب الضيق » لأندريه جيد ، ورسالته إلى معربه حين سأله أن يأذن له بنقله إلى العربية ... ولكنى رجعت بذاكرتى إلى الوراء بعد أن قرأت رسالة الأديب الفرنسى إلى معرب كتابه ؛ رجعت بذاكرتى إلى رأى هنرى بيرو فى أندريه جيد حين وصفه بأنه كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة ، وانتهيت إلى أن بيرو قد يكون متجنيا فى اتهاماته الأخرى ، ولكنه لم يعد الحق حين رمى جيد بضيق الأفق ! ولعل أقوى دليل يمكن أن أقدمه إلى القراء هو أن أنقل إليهم فقرات من رسالته إلى معرب كتابه « الباب الضيق » يقول فيها « ... ترجمة كتبى إلى لغتكم ؟ إلى أى قارىء يمكن أن تساق ؟ وأى الرغبات يمكن أن تلبى ؟ ذلك أن واحدة من الخصائص الجوهرية فى العالم المسلم، فيما بدا لى ، أنه وهو الإنسانى الروح يحمل من الأجوبة أكثر مما يثير من أسئلة . أغلطىء أنا ؟ هذا ممكن . ولكنى لا أحس قط كثير قلق فى نفوس هؤلاء الذين كونهم القرآن وأدبهم إنه مدرسة للطمأنينة قلما تغرى بالبحث ، وهذا فيما أظن هو الذى يجعل تعليمه محدوداً ! وأحسب أن ليس فى كتبى كلها أبعد عما يشغل نفوسكم من كتابى « الباب الضيق » ، فهم يستطيع هذا الظمأ الصوفى الذى صورته هنا أن يمس نفوساً هى قعيدة اليقين » ؟

إن رجلاً هذه نظرته إلى من كونهم القرآن وأدبهم لرجل ضيق الأفق ما فى ذلك شك ؛ وإن الحياة العقلية فى الإسلام ، تلك الحياة المليئة بالنضال الفكرى فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، والتى كانت ميداناً هائلا لتطاحن الآراء والأفكار حول هذا الدين وما يثيره فى النفوس من قلق وجدل وأسئلة ، لتزلزل كل كلمة من كلمات أندريه جيد . إنه لم يقرأ شيئاً عن الفرق الدينية المختلفة التى لنا فى فضلها الفكرى من أدب وعلم وفلسفة تراث فذ تعتزبه العربية على مر الأجيال ! ولو أنه قرأ ما كتبه المستشرق الألمانى جولد تسيهر عن العقائد الإسلامية ، أو ما كتبه المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون عن التصوف الإسلامى ، لما هرف بما هرف ، ولما أرسل القول على عواهنه ، ولكنه كما قال هنرى بيرو يحق : كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة !

هذا أفق ضيق نضعه أمام أفق آخر لأديب آخر هو توماس كارلايل فى كتابه « الأبطال » ، ولو أن الزاوية التى ينظر منها كارلايل إلى الإسلام تختلف عن الزاوية التى ينظر منها جيد ، ولكنها زاوية تضع الفارق بين أفقين على كل حال . يقول كارلايل « فى الإسلام خلة أراها من أجل الخلال وأشرفها ألا وهى التسوية

طويلا إلا إذا تولى أمورها فلاسفة . لأن الفلاسفة تنطبع نفوسهم على حب العدالة بحكم فلسفتهم . وإدارة الدولة لا تحتاج إلا إلى كثير من العدالة وقليل من العلم .

الأمم الآن فقيرة بفلسفة أفلاطون وغنية بفلسفة نيتشه الذى نادى بالسوبرمان (الإنسان المتفوق) . فتفوق من أتباعه على غرار فلسفته غليوم الثانى وهتلر الأول . فذهبا ضحية فلسفته — رحم الله الثلاثة جميعاً .

نفورو الحمراء

بين الناس ، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأى ، فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض ، والناس فى الإسلام سواء ، والإسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضاً حتماً على كل مسلم وقاعدة من قواعده ، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة كل رجل فتكون جزءاً من أربعين من الثروة تعطى للفقراء والمساكين. جميل والله كل هذا ، وما هو إلا صوت الإنسانية ، صوت الرحمة والإخاء والمساواة ينبعث من فؤاد ذلك الرجل محمد ، بن الفقار والصحراء » ...

كلام أديب ؛ حين يكون الأدب ومضة فكر ، وخفقة قلب ، واستجابة شعور . وحديث عالم ؛ حين يكون العلم سمة طلاع ، ورحابه أفق ، وسلامة تقدير !

كرامة فنان :

هذه قصة عن المبقرى الإيطالى ما يكلانجلو ، قليلة الألفاظ لكنها كثيرة المعانى ... وتستطيع بعد قراءتها أن توافقنى على ن خير عنوان يمكن أن يوضع لها هو هذا العنوان « كرامة لفنان » .

إنها قصة فريدة تتمثل فيها غيرة الفنان على فنه ، وثورته على كل من يمس كرامة المبقرى أو ينال من جلالها ، ولو كان لمعتدى هو البابا يوليوس الثانى ... ! قرأت هذه القصة وعجبت كيف يجرؤ ما يكلانجلو على أن يقف من البابا موقفاً لا يستطيع ن يقفه ملك من ملوك أوربا فى القرن السادس عشر ! ولكنه لفنان ... الفنان الذى كان يشعر فى أعماق نفسه أن قداسة فنه ٧ تقل منزلة عن قداسة الكنيسة !

لقد ترامت إلى البابا أنباء المبقرى الشـــاب الذى بهر لورنسة بعظمة آثاره الفنية فى الرسم والنحت ، فأرسل يستدعيه زين جدران القصر البابوى وردهاته بمعجزات فنه الخالد . . . مثل رجل الفن أمام رجل الدين ، وكان لقاء أفاض فيه البابا لى الفنان كثيراً من عطفه وتشجيعه . . وحين طلب أنجلو مائة ف « سكودى » أجراً لعمله قال البابا : فلتكن مائتى ألف سيدى ! .. وبدأ الفنان العظيم يستلهم الوحى فى صوره وتماثيله ، يبعث فيها الحياة تنبض فى كل ناحية من نواحيها ، مما جعل وليوس يحله من نفسه مكاناً لا يدانيه مكان . ودب الحقد الحسد فى نفوس رجال القصر لهذه المنزلة الرفيعة التى حظى بها أنجلو فوشوا به إلى البابا .. وفاجأ يوماً بأحدهم يقول له فى لهجة لا تخلو من وقاحة : « سيدى ، لدى أمر من قداسة البابا بطردك من قصره ، ويحسن بك ألا تريه وجهك بعد اليوم ! ! وفى كبرياء العظيم يودع أنجلو آثاره الحبيبة وقصر البابا وروما ومن فيها ، تاركا له رسالة يخاطبه فيها بقوله : « أيها الأب المقدس ، لقد أمرت بطردى من قصرك ، ويؤسفنى أنك ستحتاج إلىّ مرة أخرى ، فإذا احتجت إلىّ — وهذا أمر ليس منه بد — فعليك أن تبحث عنى فى مكان آخر .. غير روما ! ». ويستشعر البابا فداحة الخسارة بعد رحيله ، ويسأل عنه فيعلم أنه فى فلورنسة ، فلا يسعه إلا أن يبعث إلى حاكمها برسالة يطلب إليه فيها أن يقدم اعتذاره لأنجلو ، وأن يرجوه فى أمر العودة مرة أخرى . . ويمتنع أنجلو . . وتصل رسالة أخرى من البابا يؤكد فيها اعتذاره ويلح فى إحضاره . ويمعن أنجلو فى التغاضى وتصل رسالة ثالثة فيصر أنجلو على أن يلقاه البابا فى منتصف الطريق بين روما وفلورنسة . . وقد كان ! !

هل تستطيع أن تعثر فى العالم كله ، وفى تاريخ الفن كله ، على فنان من هذا الطراز ؟ لا أظن ! إن مايكلانجلو قد قدم أروع مثال يمكن أن يحتذيه فنان !

ترى لمن أهدى هذه القصة الفريدة فى تاريخ الفن ؟ أهديها إلى بعض الناس هنا فى مصر ، أولئك الذين دفعوا بكرامة الفن إلى الحضيض فى سبيل مآربهم الشخصية والمادية .. هل أسميه ؟ كلا . إنهم يعرفون أنفسهم .. ويعرفهم الناس !

أنور المعداوى

إعلان

يعلن مجلس البدرشين القروى تأجير التزام معدية البدرشين — حلوان بالمزاد يوم ٤/٦ سنة ١٩٤٨ الساعة ١٠ ص لمدة ثلاث سنوات اعتباراً من ٢٠ مايو سنة ١٩٤٨ ومن يرسو عليه المزاد يدفع تأميناً قدره ٥٠ ٪ من قيمة الإيجار ؟

٩٠٦٦